

## أضواء البيان

. . @ 188 @

وفي بعض المراسيل : ( إن [ ] يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات . فقوله تعالى : { فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ ° } إشارة إلى اتباع الشهوات ، وهوداء العصاة . وقوله : { وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ° } إشارة إلى الشبهات ، وهو داء المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات ، وكثيراً ما يجتمعان . فقل من تجده فاسد الاعتقاد إلا وفساد اعتقاده يظهر في عمله . والمقصود أن [ ] أخبر أن في هذه الأمة من يستمتع بخلافه كما استمتع الذين من قبله بخلافهم ، ويخوض كخوضهم ، وأن لهم من الذم والوعيد كما للذين من قبلهم ، ثم حضهم على القياس والاعتبار بمن قبلهم فقال : { أَلَمْ يَأْتِهِمْ ° زَيْبَاتُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ° قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ° وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ ° وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ ° وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ° أَتَتْهُمْ ° رُسُلُهُمْ ° بِالْبَيِّنَاتِ ° فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ° وَلَآكِنْ كَانُوا ° أَنْفُسَهُمْ ° يَظْلِمُونَ ° } فتأمل صحة هذا القياس وإفادته لما علق عليه من الحكم ، وأن الأصل والفرع قد تساويا في المعنى الذي علق به العقاب وأكده كما تقدم بضرب من الأولى وهو شدة القوة وكثرة الأموال والأولاد ، فإذا لم يتعذر على [ ] عقاب الأقوى منهم بذنبه فكيف يتعذر عليه عقاب من هو دونه . ومنه قوله تعالى : { وَرَبُّكَ ° الْعَزِيزُ ° ذُو الرَّحْمَةِ ° إِنَّ يَشَأُ ° يُذْهِبْكُمْ ° وَيَسْتَخْلِفْ ° مِنْ بَعْدِكُمْ ° مَا يَشَاءُ ° كَمَا أَنْشَأَكُمْ ° مِنْ ذُرِّيَّةٍ ° قَوْمِ آخِرِينَ ° } . فهذا قياس جلي ، يقول سبحانه : إن شئت أذهبتم واستخلفت غيركم ، كما أذهبتم من قبلكم واستخلفتكم ، بذكر أركان القياس الأربعة : علة الحكم وهي عموم مشيئته وكمالها ، والحكم وهو إذهابه إياهم وإتيانه بغيرهم ، والأصل وهو ما كان من قبل والفرع وهم المخاطبون ، ومنه قوله تعالى : { بَلْ ° كَذَّبُوا ° بِمَا لَمْ يُحِيطُوا ° بِعِلْمِهِ ° وَلَمْ ° يَأْتِهِمْ ° تَأْوِيلُهُ ° كَذَلِكَ ° كَذَّبَ ° الَّذِينَ ° مِنْ قَبْلِهِمْ ° فَانظُرْ ° كَيْفَ ° كَانَ ° عَاقِبَةُ ° الظَّالِمِينَ ° } فأخبر أن من قبل المكذبين أصل يعتبر به ، والفرع نفوسهم . فإذا ساووهم في المعنى ساووهم في العاقبة ، ومنه قوله تعالى : { إِنْ زَلَّ ° أَرْسَلْنَا ° إِلَيْكُمْ ° رَسُولًا ° شَاهِدًا ° عَلَيْكُمْ ° كَمَا ° أَرْسَلْنَا ° إِلَيْ فِرْعَوْنَ ° رَسُولًا ° فَعَصَى ° فِرْعَوْنُ ° الرَّسُولَ ° فَأَخَذْنَا ° أَخْذَهُ ° وَبِئْسَ ° أَخْذًا ° } فأخبر سبحانه أنه أرسل موسى إلى فرعون ، وأن فرعون عصى رسوله فأخذه أخذاً وبئساً . فهكذا من عصى منكم محمداً صلى [ ] عليه وسلم . وهذا في القرآن كثير جداً

فقد فتح لك بابه . . .

فصل .

وأما قياس الدلالة فهو الجمع بين الأصل والفرع ، بدليل العلة وملزومها ، ومنه